تنبيهات على علو الحقيقة المحمدية العلية

رقم الكتاب في المكتبة الشاملة: ١٣٦٤
الطابع الزمني: ٠٤-٢٨-٠٤-١١-٠٥-٢٠٢١
المكتبة الشاملة رابط الكتاب

المحتويات

عن الكتاب

الكتاب: تنبيهات على علو الحقيقة المحمدية العليّة
تأليف: الشيخ الأكبر سيدي محي الدين بن عربي
اعدّه للمكتبة الشاملة:
أ / ناجح رسلان

عن المؤلف

١ الحقيقة المحمدية

تنبيهات على علو الحقيقة المحمدية العليّة
تأليف الشيخ الأكبر .. سيدي محي الدين بن عربي
التنبيه الأول
اعلم أن الحقيقة المحمدية مسماة بالعقل الأول ، وبالقلم الذي علم الله تعالى به الخلق كلهم ، وبالحق الذي قامت السماوات والأرض ، وبالباء . وأحسن أسماء هذه الأسماء : [الحقيقة المحمدية] : الباء .من حيث ظهور الأشياء .و إنما ظهرت الأشياء بالباء ، أن الحق تعالى : واحد ، فلا يصدر عنه إلا واحد ، فكان الباء : أول شيء صدر عن الحق تعالى . فهي ألف على الحقيقة، وحداني من جهة مرتبتها ، لأنها ظهرت في المرتبة الثانية من الوجود ، فلهذا سميت باء ، لتمتاز عن الحق تعالى ، ويبقى اسم الألف له تعالى .
فالباء: اثنان من جهة المرتبة فهي عدد ، والأشياء عدد ، فصار العدد من العدد : يعني من الباء ، وبقي الواحد الأحد ، في أحديته مقدساً منزهاً .
ثم أعلم أن الباء زائدة في حضرة الفعل ، فلهذا كانت النقطة التي تحتها بين العالم
الكوني وبينها: إشارة إلى الأحدية ، فلو كان الأثر للباء ، لم تكن هذه النقطة ، إذ الأثر لها لا للباء والله تعالى أعلم ....
التنبيه الثاني
اعلم أن مرتبة الإنسان الكامل ، الذي لا أكمل منه : من العالم : مرتبة النفس الناطقة من الإنسان { يشير إلى أنه بالنفس الناطقة يتميز الإنسان من الحيوان ، وكذلك هو صلى الله عليه وسلم بالنسبة للعالم بمنزلة النفس الناطقة للخلق {.
وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : الذي هو الغاية المطلوبة من العالم .
ومرتبة الكمال التنازلي { لأنه أعلى مقامات الكمال ، فكل من أوتي شيئاً من الكمال فهو أقل منه: مرتباً ترتيباً تنازلياً ، لا تصاعدياً ، لأنه لو كان ترتيباً تصاعدياً لكان هناك من هو أعلى منه ،و هذا غير موجود ، فهو الحائز صلى الله عليه وسلم ذروة الكمال الخَلقي والخلُقي ـ أي خلقه الله تعالى أكمل المخلوقين . صلى الله عليه وسلم { .عن مرتبته : بمنزلة القوى الروحانية من الإنسان { لأن الإنسان بلا روح : جسد ميت ، لا حركة له {وهم الأنبياء صلى الله عليهم وسلم .
ومرتبة من نزل عن مرتبتهم { وهم الأولياء والصالحون من عباد الله تعالى { بمنزلة القوى الحسية من الإنسان في الشكل وهو من جملة الحيوان ، فهم بمنزلة الروح الحيواني في الإنسان ، الذي يعطي النمو والإحساس.
وإنما قلنا : أنه صلى الله عليه وسلم : "النفس الناطقة " : لما أعطاه الكشف ، لقوله صلى الله عليه وسلم : " أنا سيد الناس " ، والعالم من الناس ، فلأنه الإنسان الكبير في الجرم ، المتقدم في التسوية : لتظهر عنه { هناك فرق بين عنه ومنه .. ومعنى عنه أي عن طر يقه ، فمثلاً تقول : أخذت هذا العلم عن فلان ، أي بواسطته فهو مُمَد ومُمِد
آخذٌ من ناحيةٍ معطٍ من ناحيةٍ أخرى{ صورة نشأته صلى الله عليه وسلم ، كما سوّى الله تعالى جسم الإنسان وعدله قبل وجود روحه { أي قبل النفخ فيه { ثم نفخ فيه من روحه : روحاً كان به إنساناً تاماً .
والملائكة من العالم كالصورة الظاهرة في خيال الإنسان . وكذلك الجن .
فليس العالم إنساناً إلا بوجود الإنسان ، الذي هو" نفسه الناطقة " .
كما أن نشأة الإنسان : لا يكون إنساناً إلا بنفسه الناطقة ، ولا تكون هذه النفس
الناطقة من الإنسان كاملة إلا بالصورة الإلهية . فلذلك " نفس العالم " التي هي عبارة عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، حازت درجة الكمال بتمام الصورة الإلهية في
الوجود والبقاء والتنوع في الصور ، وبقاء العالم به .

وكان حال العالم قبل ظهوره صلى الله عليه وسلم بمنزلة الجسد المسوّى بلا روح . وحاله بعد وفاته : بمنزلةالنائم .

وحاله ببعثه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة : بمنزلة الانتباه بعد النوم ...

ولما أراد الله بقاء هذه الأرواح على ما قبلته من التميز : خلق لها أجساداً برزخية تميزت بها عند انتقالها عن أجسادها في الدنيا : في النوم ، وبعد الموت ، والله أعلم .

التنبيه الثالث

اعلم : أن الأرض الواسعة { المذكورة في قوله تعالى

: " يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون " ـ ٥٦ من سورة العنكبوت {

إنما هي أرض عبادتك ، فتعبد الحق " كأنك تراه " في ذاتك من حيث بصرك ، على ما يليق بجلاله سبحانه وتعالى . وعين بصيرتك تشهد بأنه :

ظاهر لها ظهور عِلْمْ

{ لا ظهور رؤية } فتجمع في عبادتك بين ما يستحقه تعالى من

العبادة في الخيال { أي في خيالك أيها العابد {، وبين ما يستحقه من العبادة في غير موطن الخيال {أي في موطن الحقيقة وهو الموطن الذي يعتقد أنه يشاهد الله جلَّ وعلا حقيقةً{

فتعبده مطلقاً ومقيداً { أي بما افترض عليك من الفرائض (المقيد)

وبما تنتفل به (المطلق) } وليس هذا لغير هذه النشأة الإنسانية المؤمنة ، التي جعلها الله تعالى حرمه المحرم ، وبيته المعظم .

فكل من في الوجود يعبد الله تعالى على الغيب ، إلا الإنسان الكامل ، فإنه يعبد الله تعالى على المشاهدة .

ولا يكمل العبد إلا بالإيمان الكامل ، فإنه النور الذي يزيل كل ظلمة .

فإذا عبده على المشاهدة : رءآه جميع قواه { من قوله جل وعلا :

" كنت يده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها " إلى آخر الحديث القدسي المعروف { فما قام بعبادته غيره { الضمير يرجع إلى "الله" تعالى ، لأنه هو الذي أمدك سراً وجهراً ، وهو الفاعل على الحقيقة سبحانه تعالى { .ولا ينبغي أن يقوم بها سواه واعلم أنك إذا لم تكن بهذه المنزلة ، ومالك قدم في هذه الدرجة ، فأنا

أدلك على ما يحصل لك به هذه الدرجة العليا ، وذلك أن تعلم أن الرسل صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ أعدل الناس أمزجة لقبول رسالات ربهم تعالى .

وكل شخص منهم قبل من الرسالات الإلهية على قدر ما أعطاه الله تعالى في مزاجه من التركيب .

فلذلك لم يبعث نبي منهم إلا لقوم معينين ، لأنه على مزاج خاص مقصور ، وأن سَيْدَنَا

مُحَمَّدْاً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثه الله برسالة عامة إلى جميع الناس كافة ، .

وما قَبِلَ مثل هذه الرسالة العامة إلا لكونه على مزاج عام ، يحتوي على مزاج كل نبي ورسول .

فمزاجه : أعدل الأمزجة كلها، ونشأته أقوم النشآت أجمعها.

فإذا علمت هذا ، وأردت أن ترى الحق تعالى على أكمل ما ينبغي أن يظهر به لهذه النشأة الإنسانية ، فألزم الإيمان والإتباع له صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،واجعله مثل المرآة أمامك .

وقد علمت أن الله تعالى لابد أن يتجلى لسَيْدَنَا مُحَمَّدْاً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مرآته : أكمل ظهور وأعدله ، وأحسنه لما هي عليه مرآته من الكمال .

فإذا أدركت الحق تعالى في مرآته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تكون قد أدركت منه ما لم تدركه في غير مرآته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ألا ترى ـ في باب الإيمان ـ بما جاء به من الأمور التي نسب الحق تعالى نفسه بها على لسان الشرع ـ بما تحيله العقول ، ولولا الشرع والإيمان به لما قبلنا ذلك من حيث نظرنا العقلي .
فكما أعطانا بالرسالة والإيمان : ما قصرت العقول التي لا إيمان لها عن إدراكها ذلك من جانب الحق تعالى ، كذلك أعطانا ما قصرت أمزجتنا مرائي قلوبنا ـ عند المشاهدة ـ عن إدراك ما تجلى في مرآته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تدركه في مرآتها.
وكما آمنت به في الرسالة غيباً : شهدته عند التجلي عيناً .
فقد نصحتك وأبلغت لك في النصيحة ، فلا تطلب مشاهدة الحق تعالى إلا في مرآته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
واحذر أن تشهد النبي ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أو تشهد ما تجلي في مرآته من الحق في مرادك ، فإنه ينزل بك ذلك عن الدرجة العالية .فالزم الإقتداء به ، والإتباع له ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ولا تطأ مكاناً لا ترى فيه قدم نبيك صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
فضع قدمك على قدمه { يعني اتبع آثاره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل صغيرة وكبيرة } إن أردت أن تكون من أهل الدرجات العلا ، والشهود الكامل في المكانة الزلفى ، والله الموفق .
التنبيه الرابع
اعلم أن الحق تعالى لما تجلى بذاته لذاته بأنوار السبحات الوجهية من كونه عالماً ومريداً ، فظهرت الأرواح المهيمنة بين الجلال والجمال ، وخلق ـ في الغيب المستور الذي لا يمكن كشفه لأحد من المخلوقين ـ العنصر الأعظم ، وكان هذا الخلق دفعة واحدة من غير ترتيب سببي ، وما منهم روح يعرف أن ثم سواه ، لفنائه في الحق بالحق .
ثم أنه تعالى أوجد بتجل آخر من غير تلك المرتبة المتقدمة : أرواحاً متحيزة في أرض بيضاء ، وهيمهم فيها بالتسبيح و التقديس ، لا يعرفون أن الله تعالى خلق سواهم . وكلٍ منهم على مقام من العلم بالله تعالى والحال . وهذه الأرض خارجة عن عالم الطبيعة ، وسميت أرضاً نسبة مكانية لهذه الأرواح المتحيزة، ولايجوز عليها التبديل { لأن التبديل الذي قاله الله تعالى
" يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات " هي أرضنا وسماؤنا }ولا يجوز كذلك أبد الآباد ، لما سبق في علم الله تعالى .
وللإنسان الكامل في هذه الأرض : مثال ، وله فيهم حظ ، وله في الأرواح الأولى مثال الآخر ، وهو في كل عالم على مثال ذلك العالم .
ثم إن هذا العنصر الأعظم له التفاته مخصوصة إلى عالم التدوين والتسطير ، ولا وجود لذلك العالم في العين ، وهذا العنصر المشار إليه : أكمل موجود في العالم .
ولولا عهد الستر الذي أُخِذَ على أهل هذه الطريقة لبسطنا الكلام فيه ، وبينا كيفية تعلق كل ما سوى الله تعالى به ، فأوجد ما قال الوارد عند تلك الإلتفاته : " العقل الأول " ،وقيل فيه " الأول " ، لأنه أول عالم التدوين والتسطير .
وتلك الإلتفاته ،إنما كانت للحقيقة الإنسانية ، التي لها الكمال من هذا العالم ، فكان المقصود من خلق العقل وغيره إلى أسفل عالم المركز : أسباباً مقدمة لترتيب نشأته كما سبق في العلم ـ
ومملكته ممتدة ، قائمة القواعد والنيابة عن الله تعالى ، فلا بد من تقدم وجود العالم ـ الذي هو مملكته ـ عليه ، وأن يكون هو آخر موجود بالفعل ، وان كانت له الأولية بالقصد .
فعين الحقيقة المحمدية هي المقصودة ، وإليه توجهت العناية الكلية
فهو عين الجمع الموجود ، والنسخة العظمى ، والمختصر الأشرف الأكمل في مبانيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
التنبيه الخامس
اعلم أن الوجود واحد { أي وجود الحق تبارك وتعالى هو الوجود الحق } وله ظهور {بمعنى المظاهر } وله بطون ، وهو الأسماء ، وله برزخ جامع ، فاصل بينهما ، ليتميز الظهور عن البطون ، والبطون عن الظهور ، وهو: الإنسان الكامل صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
فالبطون مرآة الظهور . والظهور مرآة البطون . وما بينهما فهو مرآة لهما : جملة وتفصيلاً .

واعلم : كما أنه بين ذات الحق تعالى وذات الإنسان الكامل مضاهاة وبين علمه وعلمه مضاهاة وأن كل ما فيها مجمل فهو فيها مجمل . وكل ما فيها مفصل فهو فيها مفصل .فكذلك بين القلم وروح الإنسان الكامل مضاهاة . وبين اللوح وقلبه مضاهاة . وبين العرش وجسمه مضاهاة .
وبين الكرسي ونفسه مضاهاة . وكل منهما مرآة لما يضاهيه .
فكل ما في القلم مجمل ..... فهو في روحه مجمل . وكل ما في اللوح مفصل ... فهو في قلبه مفصل .
وكل ما في العرش مجمل ... فهو في جسمه مجمل .وكل ما في الكرسي مفصل ... فهو في نفسه مفصل .
فالإنسان الكامل : جامع لجميع الكتب الإلهية و الكونية .
فكما أن علم الحق تعالى بذاته مستلزم لعلمه بجميع الأشياء ، وأنه يعلم جميع الأشياء{ التي هو خلاصتها لأن العلم بكل شيء لله وحده { من علمه بذاته ، فكذلك نقول : حق الإنسان الكامل :إذ علمه بذاته .....
{ الضمير في "بذاته" راجع إلى الإنسان الكامل { مستلزم لعلمه بجميع الأشياء ، وأنه يعلم جميع الأشياء من علمه بذاته ، " فمن عرف نفسه عرف ربه " ـ وعرف جميع الأشياء .
وأنظر إلى قوله تعالى : " الم ذلك الكتاب لا ريب فيه " ...
فالألف يشار بها إلى الذات الأحدية من حيث أنه أول الأشياء . واللام : يشار به إلى الوجود المنبسط على الأعيان الوجودية ...
والميم : يشار به إلى الكون الجامع ، وهو الإنسان الكامل .
فالحق تعالى ، والعالم ، والإنسان الكامل : كتاب لا ريب فيه
والله تعالى أعلم .....
التنبيه السادس
اعلم أن مقام المحبة أعلى المقامات والأحوال ، وهو الساري فيها ، وكل مقام أو حال قبلها فلها يراد . وكل مقام أو حال بعدها فمنها يستفاد ، لأنه : مقام أصل الوجود وسيده ، ومبدأ العالم وممده { إمداد الأصل لفرعه }وهو سَيِّدَنْا مُحَّدٌ صَلَىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلِمَ .الذي اتخذه الله حبيباً كما اتخذ غيره خليلاً { سيدناإبراهيم }.
فمن حقيقة هذا السيد : تفرعت الحقائق كلها : علواً وسفلاً ، فأعطى الله تعالى أعلا المقامات ـ وهو المحبة ـ : لأصل الموجودات ، وهو سَيِّدَنْا مُحَّدٌ صَلَىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلِمَ .
وأعلم أن طلب الاتصاف بأوصاف الألوهية حجاب التحقق بهذا في الجملة { يعني أن من يطلب الاتصاف بأوصاف الألوهية جملة : لا يمكن له ذلك { كما كان سيدنا مُحَّدٌ صَلَىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلِمَ الذي كان من ربه تعالى في القرب " بأدنى من قاب قوسين " ثم أصبح وليس عليه أثر من ذلك ، لأنه ما ورد عليه أمر لم يكن فيه ، ولا ورد عليه شيء لم يكن في فطرته وأما غيره ـ وهو موسى صَلَىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلِمَ ـ فإنه لمّا ورد عليه أمر غريب : ورد عليه أمر أثّر فيه فكان يبرقع على وجهه من النور الذي كان ..
لأنه يأخذ بأبصار الناظرين { يريد أن يقول : أن سَيِّدِنَامُوْسَىْ صَلَىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلِمَ أُضْفِيَّ عليه النور وقت المناجاة ، وكانت على الأرض ، وأما سَيِّدَنْا مُحَّدٌ صَلَىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلِمَ فلم يظهر فيه شيء من الأنوار لمّا رجع إلى الأرض ، لأنها كانت فيه صَلَىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلِمَ جبلها الله تعالى فيه ..
ولذلك قال عمرو بن العاص رضي الله عنه :
" والله ما ملأت عيني من رسول الله صَلَىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلِمَ قط
ولو طلب مني وصفه ما استطعت { والله أعلم .
التنبيه السابع
اعلم أن الإنسان لكامل : كتاب جامع لجميع الكتب الإلهية ، لأنه نسخة العالم الكبير .

فمن حيث روحه وعقله : كتابٌ عقليٌ يسمى أم الكتاب .
ومن حيث نفسه : يسمى كتاب المحو الإثبات .
فهي ـ الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة ـ التي لا يمسها ولا يدرك أسرارها ومعانيها إلا المطهرون من الحجب الظلمانية .
وما ذكرنا من الكتب . إنما هي أصول الكتب الإلهية .
وأما فروعها: فكل ما في الوجود : تنتقش فيه أحكام الموجودات ، فهي أيضاً كتب إلهية . والله سبحانه وتعالى أعلم
التنبيه الثامن
اعلم أن رب الأرباب هو الحق تعالى ـ باعتبار الاسم الأعظم والتعين الأول . هو منشأ جميع الأسماء . وغايةالغايات . ومتوجه الرغبات .والحاوي لجميع المطالب كلها ، وإليه الإشارة بقول الله تعالى لرسولِهِ صلى الله عليه وسلم :"
وأن إلى ربك المنتهى " لأنه صلى الله عليه وسلم مظهر التعين الأول .
فالربوبية المختصة به { رب + ك كاف الخطاب }هي هذه الربوبية العظمى .
واعلم أن لكل اسم من الأسماء الإلهية : صورة في العلم مسماة ب " الماهية " ،
و " العين الثابتة " .
ولكل اسم منها أيضاً صورة في الخارج مسماة بالمظاهر والموجودات الغينية ، وتلك الأسماء : أرباب تلك المظاهر .
فالحقيقة المحمدية : صورة لاسم " الله " الجامع لجميع الأسماء الإلهية ، الذي منه الفيض على جميعها ، فهو تعالى ربه .فالحقيقة المحمدية التي ترب { تجمع { صورة العالم كلها بالرب الظاهر فيها ، الذي هو رب الأرباب .
فبظاهرها : ترب ظاهر العالم ، وبباطنها ترب باطن العالم ، لأنه صاحب الاسم الأعظم { أي المختص به { وله الربوبية المطلقة{الجمع المطلق}وهذه الربوبية إنما له من جهة مرتبته ، لا من جهة بشريته فإنه من هذه الجهة عبدٌ مربوب : محتاجٌ إلى ربه سبحانه وتعالى .
التنبيه التاسع
اعلم أن القطب الذي عليه مدار أحكام العالم وهو مركز دائرة الوجود ـ من الأزل إلى الأبد ـ واحد : باعتبار حكم الكثرة المتعدد .
فالنبي في كل عصر هو قطبه ، وعند انقضاء نبوة التشريع بإتمام دائرتها ، انتقلت القطبية إلى الأولياء مطلقاً .
فلا يزال في هذه المرتبة واحد منهم ، قائم في هذا المقام ، ليحفظ الله تعالى به هذا الترتيب والنظام ، إلى أن يظهر خاتم الأولياء ، الذي هو خاتم الولاية المطلقة .....
{ وهو سيدنا عيسى صلى الله عليه وسلم { . والله أعلم .
التنبيه العاشر
اعلم أن الحق تعالى تجلى لذاته بذاته ، وشاهد جميع صفاته وكمالاته في ذاته .وأراد أن يشاهدها في حقيقة تكون كالمرآة .
فأوجد الحقيقة المحمدية التي هي أصل النوع الإنساني في الحضرة العلمية { أي في علم الله تعالى { فوجدت حقائق العالم كلها بوجودها وجوداً إجمالياً.
ثمَ أوجدهم فيها وجوداً تفصيلياً . فصارت أعياناً ثابتة .
فأعيان العالم في العلم والعين . وكمالاتها : إنما حصلت بواسطة الحقيقة المحمدية ـ صلى الله عليه وسلم .
التنبيه الحادي عشر
اعلم لأن الحقيقة المحمدية صلى الله على صاحبها وسلم : هي الحادث الأزلي والنشأ الدائم .. أما حدوثه الزماني : فلعدم إقتضاء ذاته الوجوب ..
{ أي أن الذات المحمدية ليست موجودة لذاتها ولكنها موجودة بإيجاد الله تعالى لها فالواجب الوجود هو الله تعالى وحسب { وأما حدوثه الزماني : فلكون نشأته العنصرية مسبوقة بالعدم الزماني ..

وأما أزليته فبالوجود العلمي { يعني في علم الله تعالى { فعينه الثابته في العلم : أزلية ، وكذا الوجود العيني الروحاني ، لأنه غير زماني ، والفرق بين أزلية الأعيان الثابتة ف] العلم والأرواح المجردة ، وبين أزلية الحق تعالى ، هو : أن أزليته تعالى تحت نعت سلبي : ينفي افتتاح الوجود عن عدم { يقول أن الله تبارك لا أول لوجوده ، لأن من له أولية فقد سبقه العدم { لأنه تعالى عين الوجود .

وأزليتها { الضمير راجع إلى الأعيان والأرواح { هو : دوام وجودها بدوام وجود الحق تعالى { لأن الله جعلها كذلك { مع افتتاح وجودها من العدم { أوجدها من العدم ، وبقاؤها بإبقاء الله تعالى لها { لكن وجودها من غيرها { وهو الله { وأما دوامه وأبديته فلبقائه ببقاء موجده تعالى : دنيا وأخرى .

وأما كونه كلمة فاصلة ، فلأنه هو الذي يفصل بين الأرواح وصورها في الحقيقة .. وإن كان الفصل بينهما ملكاً معيناً فإنه بحكمه : يفصل بينهما .

وكذلك هو الجامع بينهما، لنه هو الخليفة الجامع للأسماء ومظاهرها ، فلما وجد هذا الكون الجامع ، تم العالم بوجوده الخارجي ، لأنه روح العالم المدبرة له ، والمتصرفة فيه {تصريف إمداد لا تصريف خلق وإيجاد { وإنما تأخرت نشأته العنصرية في الوجود العلني ، لأنه لما كانت عينه في الخارج مركبة من العناصر المتأخر وجودها عن الأفلاك وأرواحها وعقولها : وجب أن يوجد قلبه ، لتقدم الجزء على الكل بالطبع .

وكون هذا الكامل : ختماً على خزانة الدنيا فهو ختم على خزانة الآخرة { لأنه أوتي الشفاعة العظمى للفصل بين الخلائق يوم القيامة صلى الله عليه وسلم {ختماً أبدياً : فيه دليل على أن التجليات الإلهية لأهل الآخرة بواسطته صلى الله عليه وسلم ، والمعاني المفصلة لأهلها متفرعة من مرتبته ومقام جمعه أبداً ، كما تفرعت أزلاً ، فما للكامل من كمالات في الآخرة : لا نهاية لها . والله أعلم .

التنبيه الثاني عشر

اعلم أن إطلاق الصورة على الله تعالى ـ عند أهل النظر ـ إنما هو مجاز لا حقيقة ، إذا لا تستعمل حقيقته إلا في المحسوسات دون المعقولات .

وأما عند المتحققين ، فإنها تستعمل في وصف الله تعالى حقيقة ، لأن العالم بأسره : صورة الحضرة الإلهية تفصيلاً { لأن الله تعالى خالق لا بد له من مخلوق ورازق لابد له من مرزوق وقادر لابد له من مقدور {

والإنسان الكامل صورة الحضرة الإلهية جمعاً { أي الذي اجتمعت فيه كل الصفات الإلهية ، فما فصله الله في العالم : جمعه فيه صلى الله عليه وسلم { قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله خلق آدم على صورته " .. { والصورة هاهنا معنوية لا صورة تخاطيط { فالنشأة الإنسانية حازت صورة الحضرة الإلهية ورتبة الأرواح الروحانية { الملائكة { . وبجسمه حاز رتبة الأجسام .

فرتبته : حازت رتبة الجمع والإحاطة ولهذا قامت حجة الله على الملائكة . لإحاطته صلى الله عليه وسلم بما لم يحيطوا بعلمه ....{ أي أنه أعلم من الملائكة لأن علمه مستمد من علمه تبارك وتعالى {....والله سبحانه وتعالى أعلم .

التنبيه الثالث عشر :

اعلم أن كلا من الظاهر والباطن : ينقسم على قسمين :

باطن مطلق ، وباطن مضاف

وظاهر مطلق ، وظاهر مضاف .

فأما الباطن المطلق ،

فهو : الذات الإلهية وصفاتها ، والأعيان الثابتة في علم الله تعالى .

والباطن المضاف هو : عالم الأرواح ، فإنه ظاهر بالنسبة إلى الباطن المطلق ، وباطن بالنسبة إلى الظاهر المطلق ، وهو عالم الأجسام .

فلذلك أنشأ الله تعالى : صورة الإنسان الكامل : الظاهرة من حقائق العالم وصوره .

وأنشأ صورته الباطنة على صورته تعالى ، فلذلك قال : " كنت سمعه وبصره " .

وأنشأ صورته الباطنة على صورته تعالى. فلذلك قال " كنت سمعه وبصره) .

فكما أن هوية الحق تعالى سارية في آدم ـ صلى الله عليه وسلم ـ كذلك هو (أي الروح والسر : على الصورة التي قدر الله تعالى) سار في كل موجود في العالم .
لكن سريانه وظهوره في كل حقيقة من حقائق العالم ، إنما هو بمقدار استعداده .
واعلم أن لكل فرد من الأفراد الإنسانية : نصي من الخلافة ، به يدير ما يتعلق من أمر نفسه أو غيره ، وهو " سمعه " الذي ورثه من والده الأكبر ، الذي هو الخليفة صلى الله عليه وسلم .
التنبيه الرابع عشر :
اعلم أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم اختص بمقام الجمع ،
فجاء بقول الله تعالى " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " فمقامه جامع بين الوحدة والكثرة وبين الجمع والتفصيل ، والتنزيه والتشبيه ،
بل جامع لجميع المقامات الأسمائية ، فجمع الله تعالى في قوله " ليس كمثله شيء " بين إثبات المثل ، وبين نفيه في آية واحده ، بل في نصفها . وبسبب هذا الجمع والتنزيه والتشبيه ، قال صلى الله عليه وسلم : " أوتيت جوامع الكلم " .
أي جمع الحقائق والمعارف ولهذا جمع الله تعالى له في القرآن جميع ما أنزله من المعاني في كتب الأنبياء صلى الله عليه وسلم وعليهم ،فدعا أمته إلى : الظاهر في عين الباطن ، وإلى الباطن في عين الظاهر ، وإلى الوحدة في عين الكثرة ، وإلى الكثرة في عين الوحدة .
وما دعاهم وما دعاهم إلى الغيبة والوحدة وحدها: إلى المشاهدة والكثرة وحدها والله أعلم .
التنبيه الخامس عشر :
اعلم أن الأنبياء صلى الله عليهم وسلم ، وورثتهم رضي الله عنهم : خدم الأمر الإلهي مطلقا ، سواء كان الأمر موافقا للإرادة أو مخالفا لها بل هم في نفس الأمر خادمون لأحوال الممكنات ، من حيث إرشادهم إلى مصالح دينهم ودنياهم ، ومنعهم مما يضر دينهم ودنياهم .
وهذا الإرشاد والخدمة منهم (الأنبياء): لهم (لمن أرسلوا إليهم): إنما هي من مقتضيات أعيانهم وأحوالهم الثابتة العلمية دون وجودهم الخارجي .
فانظر ما أعجب هذا الأمر ، من أن خادم الأمر الإلهي يكون خادما للممكنات ، مع جلالة قدره عند الله تعالى .
والرسل صلى الله عليهم وسلم : خادموا الأمر التكليفي بالحال ، كإتيانهم بالعبادات والأفعال المثبتة لطريق الحق : ليقتدي بهم ، وبالقول ، كالأمر بالإيمان ، والنهي عن الكفر والعصيان ، وبيان ما يثابون عليه ، ويعاقبون عليه ، وليسوا بخادمين الإرادة (لتعلق الإرادة بالله تعالى) ، بل كانوا يساعدونهم فيه . والله تعالى أعلم .
التنبيه السادس عشر :
(في معنى قول الشيخ حكمة فردية في كلمة محمدية ـ الفصوص) :
إنما كانت حكمة فردية ، لإنفراده صلى الله عليه وسلم بمقام الجمعية الإلهية ، الذي ما فوقه إلا مرتبة الذات الأحدية ، لأنه صلى الله عليه وسلم : مظهر لاسم الله تعالى الأعظم الجامع للأسماء كلها .
ولأنه أول ما فاض بالفيض الأقدس من الأعيان : عينه الذاتية وأول ما وجد بالفيض الأقدس من الأكوان روحه فحصل بالذات الأحدية والمرتبة الإلهية ، وعينه الثابتة الفردية الأولى .
واعلم أن أول الأفراد الثلاثة : ما زاد عليها ، فهو صادر منها . وهذه الأفراد الثلاثة المشار إليها في الوجود ، هي :
الذات الأحدية ، والمرتبة الإلهية ، والحقيقة المحمدية ، المسماة بـ " العقل الأول " .
ولما كانت تعطى الفردية الأولى بما هو مثلث الشيء قال صلى الله عليه وسلم : " حبب إلي من دنياكم " بما فيه من التثليث ، وجعلت المحبة التي هي أصل الوجود ظاهرة فيه ، ف ذكر النساء ، ثم الطيب ،
ثم قال : " وجعلت قرة عيني في الصلاة " وإنما حبب النساء إليه صلى الله عليه وسلم : لكمال شهود الحق فيهن ، إذ لا يشاهد الحق

تعالى مجردا عن المواد أبدا ، فإن الله تعالى غنيٌ بذاته عن العالمين ولا نسبة بينه تعالى مجردا عن المواد .
فإذا كان الأمر من هذا الوجه ممتنعا ، ولم تكن المشاهدة إلا في مادة : فشهود الحق تعالى في النساء أعظم الشهود وأكمله في حالة النكاح الموجب لفناء المحب في المحبوب . وأعظم الوصلة الجماع .
وهو نظير التوجه الإلهي على خلقه على صورته ، ليخلف فيرى فيه مثال صورته .
كذلك النكاح : يتوجه لإيجاد ولده على صورته ، بنفخ بعض روحه فيه ـ يعني النطفة ـ ليشاهد عينه في مرآة ابنه (أي ليشاهد الرجل نفسه في ابنه) من بعده ، فصار النكاح المشهود نظير النكاح الأصلي الأزلي (أي المقدر في الأزل) ، فظاهر صورة الإنسان : " خلقٌ موصوف بالعبودية " ، و " باطنهُ حق " ، لأنه من روح الله تعالى الذي يدبر ظاهرهُ ويربيه (لأن بدن الإنسان قائم بالروح : والروح من أمر الله تعالى) ، إذ هو الظاهر بصورته الروحانية .
التنبيه السابع عشر :
اعلم أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لما خلق عبدا بالأصالة : لم يرفع رأسه قط إلى السيادة مراعاة لما تقتضيه ذاته من العبودية الذاتية ، الحاصلة من التعيين والتقييد ، وحفظا للأدب مع الحضرة الإلهية .
بل لم يزل ساجدا لحضرته، متذللاً لربه تعالى ، واقفا في مقام عبوديته ، ورتبة إنفعاليته حتى أوجد الله تعالى من روحه الأرواح ومظاهرها جميعا ، لأنه صلى الله عليه قال :
" أول ما خلق الله تعالى نوري الذي سماه " عقلا " بقوله " أول ما خلق الله تعالى العقل " . فأعطاه رتبة الفاعلية ، بأن جعله خليفة متصرفاً (تصرف إمداد لا تصرف إيجاد) في الوجود العيني معطيا لكلمن العالم كماله .
فالروح المحمدي ، هو المظهر الرحماني الذي استوى على العرش / فتعم رحمته على العالمين ، كما قال الله تعالى : " وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين " ـ والله أعلم .
التنبيه الثامن عشر :
اعلم أن دحية الكلبي كان أجمل أهل زمانه، وأحسنهم صورة ، فكان نزول جبريل على سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم في صورته ، إعلاماً من الله تعالى : أنه ما بيني وبينك يا محمد سفير إلا صورة الحسن والجمال ، وهي التي لك عندي .
فيكون ذلك له بشرى حسياً ولا سيما أن أتى (أي جبريل) بأمر الوعيد والزجر / فتكون تلك الصورة الجميلة تسكن منه ما يحركه قهر ذلك الوعيد . والله أعلم .
التنبيه التاسع عشر :
وأعجب ما عندنا من العناية الإلهية التي صحت لنا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : اذ كل واحد من الرسل (صلى الله عليهم وسلم) يحشر جزئ الحكم (أي يحشر معهم للشهادة على قومه الذين أرسل إليهم) لاقترانه بطائفة مخصوصة .
والقطب منا : ليس كذلك (يعني لا يقف مثل هذا الموقف) فإنه عام ، جامع لكل من في زمانه من بر وفاجر ، وإن كان إرثه عيسويا أو موسويا (أي فيه من صفات سيدنا عيسى أو سيدنا موسى) فلا يقدح ذلك فيه ، فإنه من مشكاةٍ محمدية ، فله المقام الأعم ، وقد نبه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله عن طائفة من أمته ـ : " ليسوا بأنبياء يغبطهم الأنبياء " صلى الله عليهم وسلم ، للبركة المحمدية التي نالتهم من مقامه الأعم .
التنبيه العشرون :
في بيان المعاني الواردة من قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : بأن الحق تعالى " وضع يده بين كتفيه ، وأنه أحس ببرد أنامله بين ثدييه ، فعلم ما في السماوات وما في الأرض " .
اعلم أن الحق تعالى منزه عن اليد الحسية وأناملها، وانما عي يد امتنان واصطفاء ، بإفاضة أنوار النبوة والرسالة والولاية على جوهره حتى شاهد ببصيرته وبصره العوالم كلها : أولها وأخرها ،

ظاهرها وباطنها ، كلياتها وجزئياتها ، دنيا وأخرى ،ولذلك أخبرنا صلى الله عليه وسلم بالأوائل والأواخر : " بما كان ويكون في الدنيا والآخرة " لأن الحضرة الكونية كلها صارت أمام بصيرته وبصره ، حتى أنه كان صلى الله عليه وسلم " يرى من وراءه كما يرى من أمامه " وإنما خصص وضع اليدين بين الكتفين ، لأن النور الإلهي لا يأتي إلى من خصصه الله تعالى إلا من ورائه .

وأما برد الأنامل التي أحس بها بين ثدييه صلى الله عليه وسلم ، فهو عبارة عن اللذة التي حصلت له ، بما كشفه الله تعالى له من الأمور الغيبية وظهورها له ، وهذا كله إنما بمقتضى مرتبته .

وأما من حيث بشريته ، فقال صلى الله عليه وسلم :

" أني أمرت أن أحكم بالظاهر ، والله متولي السرائر " وأمثال من الستر عليه في بعض الأمور ، إنما هو لأمر عارض اقتضاه الحكم الإلهي ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : " لست أنسى ، ولكن أنسى لأسن " .. والله أعلم .

التنبيه الحادي والعشرون والأخير :

اعلم أن النبي هو الذي يأتيه الملك بالوحي من عند الله ، يتضمن ذلك الوحي : شريعة يتعبده الله تعالى بها في نفسه ، فإن بعث إلى غيره كان رسولا .

فتارة ينزل الملك بالوحي على قلبه .

وتارة يأتيه على صورة حسية من خارج ، فيلقى فما يجاء به على أذنه فيسمعه .

وتارة على بصره فيحصل له من النظر مثل ما يحصل له من السمع سواء .

وكذلك سائر القوى الحسية .

وهذا باب قد أغلق بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا سبيل أن نتعبد الله تعالى بشريعة ناسخة لهذه الشريعة .

وإذا نزل عيسى صلى الله عليه وسلم ، فإنما يحكم بهذه الشريعة المحمدية ، وهو خاتم أولياء هذه الأمة ، فإن من شرف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : أن الله ختم ولاية أمته بنبي رسول مكرم .

وهو (سيدنا عيسى) يحشر يوم القيامة مع الرسل : رسولا ، ومع هذه الأمة : وليا تابعا .

والياس كهذا المقام أيضا .

وأما حالة أنبياء أولياء هذه الأمة فهو كل شخص أقامه الله تعالى في تجل من تجلياته ، وأقام له مظهر محمد صلى الله عليه وسلم ، ومظهر جبريل صلى الله عليه وسلم ، وهو يلقي خطاب الأحكام المشروعة : لمظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيسمع صاحب هذا المشهد جميع ما تضمنه الخطاب من الأحكام المشروعة الظاهرة في الأمة المحمدية ، فيرى نفسه وقد وعي جميعها ، وعلم صحتها علم اليقين ، بل عين اليقين ، فأخذ حكم هذا النبي ، وعمل به على بينة من ربه تعالى . فهؤلاء هم أنبياء أولياء هذه الأمة ، ولا ينفردون بشريعة قط ، ولا يكون الخطاب بها إلا بتعريفهم : أن هذا هو شرع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا آخر " التنبيهات " نفعنا الله بها آمين .

التعليقات بين الأقواس للشيخ عبد الرحمن حسن محمود من شيوخ الأزهر